تمثلات التشيؤ والاغتراب في الرسم العراقي المعاصر

أسيل إنتصار هاشم
أ.د. أزهر داخل محسن
جامعة البصرة – كلية الفنون الجميلة

(بحث مستل من اطروحة دكتوراه)

المقدمة

عدت ظاهرة التشيؤ أحد المفاهيم التي اصدت لها مدرسة فرانكفورت النقدية التي ظهرت في ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وتصدت للظواهر السلبية الإجتماعية والفكرية الأوروبية المعاصرة عبر إنتقادات عميقة ، فتمثلت في نقد العقل الآلي أو تحطيمه والذي سمي بالعقل الأداتي ، لذا كانت وظيفة النظرية النقدية الفلسفية تتمثل في النقد والتحليل فضلاً عن وظائف أخرى طرحها أعضائها أن فلسفتهم النقدية تتمثل في جعل النقد أسلوباً رئيساً في النظر إلى الأشياء والأفكار والأحداث والتبرم من كل نزعة نسقية تستهدف الدمج والإحتواء كظاهرة التشيؤ التي تودي بالمجتمع إلى حالة الإغتراب ، لذا جسده الرسم العالمي في منظومته الجمالية كرد فعل ناقد ، وعلى هذا التأسيس طرح الباحثان مشكلة دراستها على وفق التساؤلين الآتين : ما هي الآليات المؤسسة لظاهرة التشيؤ ؟ وكيف صور الفنان العالمي المعاصر ظاهرة التشيؤ ؟ **أهمية البحث والحاجة إليه** وتشتغل على التعريف بمفهوم التشيؤ بوصفه أحد المفاهيم التي ناهضتها نظرية فرانكفورت عبر أعضائها ، اما حاجتها فتتجلى بأنها دراسة تجهد لوضع رؤية أكاديمية تعزز قراءات الدارسين في المزاوجة ما بين حقلي فلسفة علم الإجتماع والتاريخ والنفس والسياسة وبين الفن المعاصر ، وتسعى لتأسيس قراءة علمية مبتكرة ترتكز على نظرية فرانكفورت النقدية. **هدف البحث** : تهدف الدراسة إلى تعرف تمثلات التشيؤ في الرسم العالمي المعاصر **حدود البحث** : وتحددت بدراسة لموضوعة التشيؤ في لوحات فنية أنجزها فنانون عالميون معاصرون ضمن الحدود (2010 - 2021 م) في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا وبعض دول العالم في قارات آخرى كالصين والعراق وسوريا والهند ،

كلمات مفتاحية : التشيؤ ، نظرية فرانكفورت ، الإغتراب ، الرسم المعاصر

تحديد وتعريف مصطلحات البحث

التشيؤ Reification لغة : (التشيؤ مفهوم جذره اللغوي (شيء) أو (شيأ) وهو (المشيئة) الإرادة ، نقول منه (شاء يشاء) (مشيئة) وفي ديوان الأدب (المشيئة) أخص من الإرادة)[1]

إصطلاحاً :(التشيؤ ظاهرة من الظواهر التي إضطلعت بها مدرسة فرانكفورت بتحليلها وتفسيرها ونقدها ، وهي ترفض تشيؤ المعرفة الإنسانية بوصفها كياناً مفارقاً للفعل الإنساني ومجاوزاً له ، ويترتب على ذلك إستحالة إقامة بحث علمي غير ملتزم في إطار النظام الإجتماعي الراهن ، حيث لم يحصل الإنسان بعد على إستقلاله وحريته)[2]

- (العقلنة بوصفها تشيؤاً) عبارة سكها (هابرماس) في محاولة لإلتقاط الروح التي تسري في الأعمال المتنوعة التي قدمها الجيل الأول من النظرية النقدية ... وتشير فكرة التشيؤ إلى العملية الذهنية التي تجعل أمراً ما ثابتاً ، أشبه بالشيء ، مع أنه في الواقع ثمرة نوع محدد من العلاقة الإجتماعية)[3]

---

[1] _ الرازي . محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح ، رتبه محمود الخاطر، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ب ت ، ص 352

[2] _ بوتومور. توم ، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة سعد هجرس ، مراجعة محمد حافظ دياب ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا 2004، ص 177

[3] - هاو. آلن ، النظرية النقدية ، ترجمة ثائر ديب ، دار العين للنشر، دار الكتب والوثائق الوطنية ، الإسكندرية ، 2010 ، ص 101

- عرفه (جورجي سزيجدي فون لوكاش Gyorgy Szegdy Von Lukacs 1885 _ 1971 م) بأنه (تحول الصفات الإنسانية إلى أشياء جامدة ، واتخاذها لوجود مستقل وإكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية ، وهذه الفكرة تشكل نقداً أخلاقياً قوياً للنظام الرأسمالي)[1] وكذلك عرفه (كل التحولات المتعلقة مع العالم الموضوعي ، أي المجتمع والذات ، لكن من دون تركيز الإهتمام على الإختلافات والفوارق القائمة)[2]

- وعرفه (ماركس) (أن التشيؤ لا يعني شيئاً آخر سوى تلك العلاقة القائمة بين الأشخاص والتي تتخذ طابعاً شيئياً)[3]

- وعرف التشيؤ على وفق نظرية (ماركس) الثانية حول الإستلاب (أساس نظرية التشيؤ هو ما يدعى بفتشية السلعة أو السمة السحرية للسلعة . ذلك أن الموضوعات في نظام الإنتاج الرأسمالي تتحول مباشرة إلى سلع ... حيث لا ينظر إليها من حيث قدرتها على إشباع الحاجات الإنسانية ، بل من حيث قيمتها التجارية)[4]

- ويعني (التشيؤ ، أي تحويل العلاقات بين البشر إلى علاقات بين الأشياء)[5]

- والتشيؤ على وفق تصورات (لوكاش) الإجمالية في نقد الحداثة الغربية بأن (المجتمع يجب عليه أن يشبع حاجاته كلها وفق نموذج علاقاته الإقتصادية ، ومن ثم تعم ظاهرة التشيؤ ... ويستنتج أن عملية العقلنة أو العقلانية هي المسؤولة عن ظاهرة التشيؤ ... وأن العقلنة في مجال العمل هي توسيع للتشيؤ)[6] **التعريف الإجرائي :** يتواءم رأي الباحثان مع التعاريف التي طرحها الفلاسفة بأن التشيؤ ظاهرة مجتمعية غربية رأسمالية تتحكم في الوعي الإنساني حولت الإنسان إلى سلعة إستهلاكية لها ثمن مادي (شيء) بعيداً عن القيمة الإنسانية ، على وفق هذا المفهوم و تماشياً مع موضوعة الأطروحة في توصيف العمل الفني المعاصر .

- **الإغتراب Alineation // لغة** . الإغتراب مفهوم جذره (غ ر ب) الغربة . الإغتراب) تقول (تغرب) و (إغترب) بمعنى فهو (غريب) و (غرب) والجمع (الغرباء) والغرباء . الأباعد ، و(التغريب) النفي عن البلد ، و (أغرب) جاء بشيء غريب ... صار غربياً)[7]

- (مصطلح أصله لاتيني Alienatio يستمد معناه من الفعل اللاتيني Alienare بمعنى ينقل او يحول أو يسلم أو يبعد ، وهذا الفعل مأخوذ من كلمة لاتينية أخرى Alienus بمعنى الإنتماء إلى الآخر ، وهذه الكلمة مشتقة من كلمة Alius بمعنى الآخر أو آخر)[8]

إصطلاحاً // (الإغتراب مفهوم رئيس في الماركسية ، وهو أحد المفاهيم التي تعكس الجوانب الأخلاقية والإنسانية في الماركسية ، في مقابل التشخيص التبسيطي الفج لهذه الفلسفة بوصفها معتمدة على العنف والثورة ... ويعتقد ماركس أن الرأسمالية تولد الإغتراب في المجتمع)[9]

- يعرف (ماركس) الإغتراب بأنه (الإنخلاع بمعنى المغايرة أو الضد الذي يعاكس إتجاه المسار ، أو هو حالة إنفصال الذات عن الموضوع)[10]

- (مجموع الأفعال الإنسانية للفرد يؤدي إلى نتائج منهجية غير مقصودة ، فعن طريق الإنتقال من المقايضة إلى التبادل النقدي تحولت طبيعة المجتمع بالكامل ، لأن كل شيء أصبح قابلاً للتبادل في مقابل أي شيء آخر .... وفي أعمال (ماركس) كان ينظر إلى هذه التوابع بمفهوم الإغتراب ... وقد أستخدم للحديث عن طبيعة الحداثة)[11]

---

[1] - كريب . إيان ، **النظرية الإجتماعية من بارسونز إلى هابرماس** ، ترجمة محمد حسين غلوم ، مراجعة محمد عصفور ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة (244) الكويت ، 1999، ص 274

[2] - هونيث . أكسل ، **التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف** ، ترجمة وتقديم كمال بو منير ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الجزائر ، 2021 ، ص 32

[3] - **المصدر نفسه** ، ص 31

[4] _ محمد سبيلا ، **مدارات الحداثة** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط 1 ، بيروت ، لبنان . 2009 ، ص 35

[5] _ بووي . أندي ، **الفلسفة الألمانية . مقدمة قصيرة جداً** ، ترجمة محمد عبد الرحمن سلامة ، مراجعة هبة عبدالمولى ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 2015 ، ص 106

6-Lukas. G. **History and Class Consciousness**. Translated by Rodney Livingstone . London.1971. p 110

[7] _ الرازي . محمد لن أبي بكر بن عبدالقادر ، **مختار الصحاح** ، **مصدر سابق** ، ص 470

[8] _ أحمد عبدالحليم عطية ، **يورغان هابرماس الأخلاق والتواصل** ، المكتبة الفلسفية ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2012 ، ص 44

[9] - أيزابرجر . أرثر ، **تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة** ، ترجمة وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، القاهرة ، 2003 ، ص 92

[10] _ **جماعة من علماء السوفيات ، الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر ، ترجمة حسان حيدر ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، سنة 1990 ، ص 122**

[11] _ **بووي . أندرو ، الفلسفة الألمانية . مقدمة قصيرة جداً ، مصدر سابق ، ص 63**

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (26) السنة 2024 ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

- (وهو عند (هيجل) أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى ، ويصير إنساناً آخر أغنى من الأول ، أما عند (ماركس) فهو أن يفقد الإنسان حريته وإستقلاله الذاتي بتأثير الأسباب الإقتصادية أو الإجتماعية ويصبح ملكاً لغيره أو عبداً للأشياء المادية ، تتصرف السلطات الحاكمة في تصرفها في السلع التجارية[1]

- أو هو (تحويل ملكية شيء ما إلى شخص آخر ومعنى هذا أن ما هو ملك لي وينتمي إلي يصبح ملكاً لغيري وغريباً عني ، وكما يمكن نقل الأشياء من شخص إلى آخر يمكن نقل السلطة السياسية من شخص آخر كما يتضمن الإغتراب ما يمكن تشيؤ العلاقات الإنسانية أي نحول الموجودات إلى أشياء وهنا يصبح الأنسان مجرد سلعة يفقد سمته المتعالية وتشيؤ الإنسان يظهر بوضوح لدى ماركس وفلاسفة الوجودية)[2]

- وبعني (حالة إنفصال وإستلاب ، وهو إحساس الإنسان بأنه ليس في بيته وموطنه أو مكانه ، وفي الطب يعني الإضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريباً عن ذاته ومجتمعه ، وفي الفلسفة يعني غربة الإنسان عن جوهره تنزله عن المقام الذي ينبغي أن يكون فيه ، أو عدم التوافق بين الماهية والوجود)[3]

- ويعرف على أنه (حالة نفسية إجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً عن واقعه الإجتماعي ... وينطوي المصطلح على مفاهيم متعددة بتعدد الفلاسفة ... هيجل وفرويد وماركس الذي ربط الإغتراب بتقسيم العمل والتوزيع غير المتكافئ للسلطة والأرباح)[4]

التعريف الاجرائي // يتبنى الباحثان تعريف (ماركس) بوصفه مفهوماً يعني مغايرة المسار كحالة إنفصال الذات عن الموضوع ، ولذا يرى الباحثان أن الإغتراب في العمل الفني ولا سيما الرسم هو حالة تضاد ما بين الذات الإنسانية والموضوعة المجتمعية لذا كان الرسم مصد نوعي لتشخيص النكوص الإجتماعي والسعي لتقديم حلول تتجاوز هذا التردي المجتمعي .

الإطار النظري

الإطار العام للبحث

المبحث الأول : المفهوم المعرفي للتشيؤ والإغتراب

أكد (ماركس) أن النظام الرأسمالي يودي بالإنسان إلى حالة من الإغتراب العام كتوصيف لظاهرة الإستغلال وصنمية البضاعة (الفتشية fetishism of commodities)• التي تخلق بنى إجتماعية فيها البشر مجرد دمى غير ذي جدوى ليتحول على إثرها الإنسان الغربي إلى كيان مغترب تتحكم فيه السلعة الإستهلاكية والقيمة المالية على الوجود السلوكي للمجتمع لها من دون النظر إلى القيمة الإنسانية (إغتراب العمل يؤدي إلى تقسيم العمل المميز لكل أشكال العمل الطبقي ، فلكل إنسان مجالاً مميزاً يفرض عليه ولا يستطيع أن يتهرب منه ، فالعمل منفصل عن موضوعه هو في نهاية المطاف إغتراب الإنسان عن الإنسان يعزل فيه الأفراد بعضهم عن بعض ، ويوضع بعضهم ضد بعض ، ويكمن إرتباطهم أساسا في السلع التي يتبادلونها ، لا في أشخاصهم ، فإغتراب الإنسان عن ذاته هو في الوقت ذاته إغتراب عن أقرانه)[5] ويعد (ماركس) أول من جاء بمفهوم الإغتراب في مجاله الإقتصادي في مخطوطته التي حررها عام 1844 م ومن ثم في مؤلفه الأهم (رأس المال) ومنه قدم (لوكاتش) مفهومه للتشيؤ على (أنه تحول صفات الإنسانية إلى أشياء جامدة وإتخاذها لوجود مشغل وإكتسابها صفات غير إنسانية ، وهي نقد أخلاقي مباشر للنظام الإقتصادي الرأسمالي الذي حول البشر إلى أشياء سلعية تباع وتشترى ، فيرى أن البروليتاريا الطبقة المتضررة من هذا النظام ، ويراها قوة رئيسة في التحول ، لأن قدر البروليتاريا التاريخي جعل منها أشد إغتراباً وإستغلالاً

---

[1] _ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، 1982 ، ص 765

[2] _ عباس فيصل ، الإغتراب . الإنسان المعاصر وشقاء الوعي ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ص 20

[3] _ مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الأردن ، عمان ، 2009 ، ص 75

[4] _ كريزويل . أديث ، عصر البنيوية ، ترجمة جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، ط 1 ، الكويت ، 1993، ص 369

• (فتشية البضاعة أو الفيتشية السلعية Commosity Fetishism وهي المبالغة في تقويم سلعة إلى الحد الذي تبدو فيه على أنها تمتلك بصورة طبيعية خصائص تزيدها قيمة ، في حين أنها في و اقع الأمر ذلك النتاج المخطط له من نتاجات العلاقات الإقتصادية الرأسمالية ، وقد شدد (ماركس) على أن السلع تنتج على نحو متزايد من أجل التبادل في السوق أكثر من أجل نفعها ذاته ، وكان الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت النقدية قد ضخم هذه الفكرة لكي يبين ذلك المدى البعيد الذي بلغته هذه العملية في الحياة المعاصرة والطريقة التي تصمم بها السلع الآن مع الوعد بتحقق شخصي تنطوي عليه ، ومثل هذه الوعود هي زائفة بالطبع)(هاو. آلن ، النظرية النقدية . مدرسة فرانكفورت ، مصدر سابق ، ص 267)

[5] _ ماركيوز. هربرت ، العقل والثورة هيغل ونشأة النظرية الإجتماعية ، ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970 ، ص 272.

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (26) السنة 2024 ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

في الرأسمالية ، وتحديها الأكبر بالحفاظ على وجودها ضد الرأسمالية الطبقية[1] وعد كتابه (التاريخ والوعي الطبقي) عام 1923 م محاولة لإعادة صياغة الماركسية على منوال (هيجل) فوصف ممثل الماركسية الجديدة أو الهيجيلية الجديدة لتمسكه بالتراث الهيجلي الماركسي بما يخدم وعي ظروف المشروع الثقافي الغربي ، وكان يراوح ما بين الإلتزام السياسي الأيديولوجي والمشكلات الناتجة منها ، وبين الإخلاص للبحث الفلسفي ، وقد أسهم في طرح مفهومي التشيؤ والإغتراب في كتابه (التاريخ الوعي الطبقي) الذي جاء به من (ماركس و فيبر) إذ طرح في الكتاب مقالات ودراسات (التشيؤ ووعي البروليتاريا) أن التشيؤ لا يعني شيئاً آخراً سوى تلك العلاقة القائمة بين الأشخاص والتي تتخذ طابعاً شيئياً ، أي أن مفهوم التشيؤ يغني العملية المعرفية التي من خلالها ندرك الموجود الذي لا يتضمن أية صفة خاصة للأشياء كالإنسان بوصفه شيئاً من الأشياء ، وعد الإغتراب قضية محورية مرجعيتها الفكرية على مستوى النظرية والمنهج إلى الجدل الهيجيلي[2] وبذلك تتحول العلاقات الإجتماعية قاصرة تمجد بعضاً من البشر على حساب غيرهم يعدون عبيداً للآخرين الرأسماليين المتسلطين كأحد إشتراطات المجتمع الرأسمالي ، ليتحول العبيد إلى أداة ليس لها هدف ، ومنه تتحول العلاقة ما بين العبد وسيده مرهونة بالعلاقة داخل أسوار المصنع (يتجلى ذلك عندما تخضع هذه السلع لعملية التبادل . إذ تمارس سلطتها على الإنسان ... تغدو السلعة هي الفاعل وبصبح الإنسان تابعاً لها ومستلباً لذاته)[3] وأصبح التشيؤ والإغتراب والسيطرة من أهم المقولات التي أكدتها النظرية النقدية في طروحات أعضائها ومنهم (هوركهايمر و أدورنو) بأن الحضارة الغربية إذا بقيت حبيسة هذه المقولات لا تساعد على تحقيق حرية وسعادة الإنسان بقدر ما تعمل على إستلابه وإخضاعه بإستمرار[4] فالإغتراب مقولة تمتد جذورها إلى العجز عن إستيعاب عمل التاريخ وإخضاعها للسيطرة البشرية مع أن له تاريخاً طويلاً بعلاقته مع اليوتوبيا• إذ قدم (هيجل) تحليلاً منهجياً للإغتراب والذي آمن بأنه سيظل قائماً ببقاء البشرية ونتاجها يخرج من سيطرتها الواعية ، لأن صورة الإغتراب ترسخت في بنية الوعي وآلية عزله عن الواقع ، على وفقها عرف الإغتراب بأنه الكل الذي يعتمد إستمراره تحويل الأشخاص إلى أشياء ، بمعنى يتحول الإغتراب إلى تشيؤ وهذا ما تبنته الرأسمالية بتجريدها الإنسان من إنسانيته وتعامل الأفراد المنتجين كشيء وتحول رأس المال إلى ذات مصطنعة للحياة الحديثة[5] فأصبح يعيش الإغتراب والتشيؤ لأنه فقد حريته وإستقلاله الذاتي ، إذن فالعقلانية الأداتية هي عبارة عن نمط من المعرفة تقوم بتوظيف وتوجيه العقل نحو التجريبية التي قصدها مفكروا المدرسة كنوع من التفكير السائد في المجتمع الحديث الذي وصفه (ماركيوز) بـ (التفكير ذو البعد الواحد)[6]

المبحث الثاني : تمثلات التشيؤ في الرسم العراقي

شكلت الأنساق الثقافية والمعرفية المتمازجة أحد المسارات المهمة التي ساهمت في نشوء الفنون المعاصرة بصبغتها الثقافية التعددية والهجينة جمعت ما بين الثقافات المتباعدة والمغايرة في الزمان والمكان ، وبفعل إنفتاح المعنى تولدت بنى جديدة ترفض التقسيم الثنائي للأشياء ، فجمعت ما بين المتناقضات لواقع ثقافي هجين عمل على خلط الفئات وتحطيم الحدود وإنفصالية الأشياء في الزمان والمكان ، وإزاحة الحدود بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية لتحقيق ثقافة جماهيرية لا تتمتع

[1] - عبدالنور شرقي ، ماكس هوركهايمر مرجعيات في النظرية النقدية وتأسيسات في نقد المجتمع وصناعة الثقافة ، كتاب مدرسة فرانكفورت جدل التحرر والتواصل والإعتراف ، دار الرو افد الثقافية ، 2012 ، ص 57 _ 58

[2] - هونيث . أكسل ، التشيؤ. دراسة في نظرية الإعتراف ، مصدر سابق ، ص 31

[3] _ عباس فيصل ، التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، د 1 ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص 69

[4] _ هوركهايمر. ماكس وتيودور أدورنو، جدل التنوير. شذرات فلسفية ، ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2006، ص 32

• اليوتوبيا Utopia مصطلح يوناني صاغه المفكر السير (توماس مور Sir Thomas More 1478 _ 1535 م) يعني ذلك النمط من التوجه الذي يتسامى على الأمر الو اقع ويحطم في الوقت نفسه النظام القائم ، أي أنها حالة ذهنية تجانب الو اقع وتعارضه حيال أشياء تتسامى على الوجود الفعلي وعالم بعيد عن عالم التاريخ والمجتمع (مانهايم . كارل ، الأيديولوجيا واليوتوبيا . مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة ، ترجمة محمد رجا الديربني ، شركة المكتبات الكويتية ، ط 1 ، الكويت ، 1980 ، ص 247)

[5] _ برونر. ستيفن إريك ، النظرية النقدية . مقدمة قصيرة جداً ، ترجمة سارة عادل ، مراجعة مصطفى محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، مصر، 2016 ، ص 45

[6] - عبد الغفار مكاوي ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، هنداوي سي أي سي للنشر، 2021 ، ص ٢٧

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (26) السنة 2024 ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

بصفة الأصالة [1] ولعل إنفتاح المجتمع العراقي على المجتمعات الأخرى بفعل العولمة التي شكلت تطبيقاً عملياً لتشيؤ الإنسان ومن ثم غربته عندما تحول إلى سلعة إستهلاكية بثتها منظومة الأمركة عبر تسيدها على ثقافة التكنولوجيا والشركات العالمية الكبرى ، وأصبح الإنسان أداة تسيرها هذه الشركات الكبرى في العالم[2] ولأن المبحث يتعقب تمثلات التشيؤ والإغتراب في الرسم العراقي فيتضمن تحليل لعدد من لوحات الرسم العراقي المعاصر لعدد من الرسامين العراقيين وكالآتي : فقد أعطى الفنان العراقي الراحل (بلاسم محمد جسام 1954 _ 2021 م) قيمة متسامية للفرد والذات الإنسانية بمزاوجته التشخيص والتجريد فضلاً عن التقنية والمعطى السريالي بمساحة بصرية تتوافق مع التعبيرية التجريدية الغربية التي ظهرت في أميريكا بعد عام 1945 م مع الفنان الأميريكي (جاكسون بولوك Paul Jackson Pollock 1912 _ 1956 م) وبعض الفنانين الغربيين (شكل ل) ولكن (جسام) لم يحاك ما قدمه التعبيريون التجريديون بشكل مطلق كما في أعمال (بولوك) بالرغم من المقاربة التقنية النسبية عند النظر للوهلة الأولى لأعمال الفنانين معاً ، ولكن (جسام) تمرد على طروحاتهم الجمالية ليعيد إنتاج أفكاره على وفق محليته وتوصيفه للإنسان ، فهو ينظر للإنسان بوصفه وجوداً فاعلاً لا يمكن تجاهله أو تهميشه ، فهو الوجود الأهم والفاعل في ديمومة الحياة ، وبذلك رفض آلية تسليع الإنسان وإغترابه وإستهلاكه على الرغم من أطره بغربة وجودية كنوع من الرفض الوجودي المعلن ، أما التمرد الآخر الذي أوجده (جسام) أنه بالرغم من وعيه لمفهومي الحداثة وما بعد الحداثة والمعاصرة على مستوى التنظير والفكر بوصفه يرى الحداثة نظام وقيم معرفية إعتمدت سرديات كبرى ومنظومة كان العقل فيها مرجعية (لوغوس) على خلاف منها ما بعد الحداثة التي حطمت المرجعيات واللوغوس والعقل وهيمنة المركز ، كانت تمظهرات تمرده أنه أسس لمركزية مفصلها الأكبر هو الإنسان لذا لم نجد في لوحات (بولوك) المركزية التي طرحها (جسام) لذا كانت تقسيمات السطح البصري في معظم اعماله إلى مساحات لونية تميل بمجملها إلى لون أبيض يقسم السطح إلى منطقتين باللون (الأوكر الرمادي) موظفاً الشخصيات (الفكرات Figures) بأكثر من حالة أو وضعية بنائية له خصوصية مركزية ، منها ما بانت عليه القوة التي تخترق المصاعب لتحقق ذاتها في الشخصيتين الطويلة لتصل إلى مبتغياتها وحريتها ، في حين وضع أكثر من شخصية موضحاً سلبيتها في اللون الأبيض لأحد الشخصيات وصغر حجمها كتوصيف للقهر والإنكسار ، ولكن بمجمل كل ذلك لم يكن يظهر الجانب السلبي بشكل دون أن يصور الجانب المشرق حتى في الإنكسار عبر سعي ومحاولة للنهوض ، فالفنان يقر يقيناً بإمكانية الفن في تشخيص السلبيات وإمكانية حلها أو تجاوزها ، بمعنى أن الفن إلى جانب وظيفته الجمالية له وظيفة ثورية تحررية موافقاً ما طرحه أعضاء مدرسة فرانكفورت النقدية بوظيفة الفن الثورية . ويشير الفنان في عمله إلى نسق من العلاقات الظاهرة بين العناصر المكونة لعمله الفني ، وقد إنبنت جميعها على طرح جمالي وفكري واع ، فالجمالي تحدده المساحات اللونية وعلاقاتها فيما بينها ، فاللون الأوكر المائل للرمادي يغطي السطح بمساحة كبيرة تصل إلى أكثر من ثلثي اللوحة ، فيما يتقاطع معه اللون الأبيض ليقسم اللون الأوكر إلى أقسام ثلاثة المساحة الكبيرة في الأعلى تصل إلى نصف العمل بينما يتوزع الجزءان الآخران تحت اللون الأبيض في المساحة السفلى يميناً ويساراً ، وهذا التقسيم يعد تقسيماً جمالياً طالما وضع بعناية مدروسة تتوافق مع الألوان الأخرى والأشكال التي وضعت في مساحة من الأسفل لتتركز في منتصف اللوحة كنوع من التأكيد على السيادة الجمالية لألوان حارة (الأحمر والأصفر والبرتقالي) وباردة (الأزرق والأخضر) تعززه الألوان الرمادية (الأسود والرمادي) كل هذه المنظومة اللونية والخطية (الخطوط المكونة للشخوص الإنسانية) وضعها الفنان في تلاقح وجودي وجمالي بوصفها كينونات متبادلة الفهم للفنان وللمتلقي ، بمعنى أن الفنان يسعى منها لتعزيز الرؤية الوجودية ككيانات ذات قيمة للوجود الإنساني ، وبوصفها وجود معاش ، ويعد هذا الوجود مفصلاً مهماً من التواصل من بين ذات الفنان والمجتمع عبر منظومة الفاعلية التواصلية التي أكدها (هابرماس) في فلسفته التواصلية ضمن حراكه الثقافي في نظرية فرانكفورت

[1] _ أزهر داخل محسن ، دراسات في التشكيل المعاصر ، دار أمجد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، المملكة الأردنية الهاشمية ، 2019 ، ص 110

[2] _ _____ ، فاعلية الصورة الإعلامية في التشكيل العراقي المعاصر (الحدث العراقي أنموذجاً) ، المؤتمر الدولي الأول . الصورة . مسارات التشكل ورهانات التأويل ، المركز الجامعي عبدالحميد بو الصوف ، معهد الآداب واللغات الجزائر ، ديسمبر ، 2020 ، ص 175

مجلة فنون البصرة – ملحق العدد (26) السنة 2024 ISSN : (Print) 2305-6002 : (Online) 2958-1303

النقدية ، وهذا ما تقصده الباحثة بالطرح الفكري . وأكدت إشتغالات (أزهر داخل 1963 م) وإنفعالاته التحريضية في وهو يبث صرخة رافضة للوضع السياسي بثورية جمالية زاوج فيها الرمز بالأيقون وبإطار طفولي في بعض مفاصله متعكزاً على الموروث بصفته الهوية التي عززها بكلمات سياسية مجتمعية ، مما يشكل العمل بإطاره العام رسم جداري أو كرافيتي متحفي ، وهذه من إشتغالات التعبيرية التي طرحت (باسكوايات) الذي نقل الرسم على الجدار ضمن إتجاهات فن الشارع إلى المتحف ، كما طرح (داخل) في شخصية الرجل في المركز مصورات لعنوانات صحف محلية وعربية وما تمارسه من تزييف للحقائق في ذهنية المجتمع العربي لذا كانت علامة (x) باللون الأحمر كرسالة تحذيرية ينبغي توخي التدقيق في إستلام المعلومة لأنها بخلاف هذا الحذر ستؤدي إلى قتل وتشريد حددها الفنان بهدف الرمي على رأس المواطن ، وبشكل عام يمثل العمل معادلاً موضوعياً للعديد من المعطيات الحياتية التي تؤطر الإنسان العراقي أو الإنسان الشرقي بشكل عام ، لذا سعى الفنان من محاكاة الضامر والجوهر عبر الترميز والإختزال متوجهاً نحو التعبير والتجريد لينأى بعمله بعيداً عن الواقعية ، ليتشكل من خلالها فعل تداولي مجتمعي . وبعدد من

اللوحات التي قدمها ضمن معرضه الشخصي ومعرض جماعة أبسو تشكيل السابع عام 2017 م يذكر (أن النقد يحاول إزاحة أو تأويل المنجز خارج القراءة السوسيولوجية والإجترارات التاريخية التي ترافقه) بمعنى أن (أزهر) يسعى إلى قراءة العمل الفني بعيداً عن كل ما يحيطه ، فهو يرى الفن مستقلاً ومتحرراً حتى عن سطوته الفكرية فيما إذا ما تم عرضه للجمهور ، وهو ما توافق مع طروحات مناهج النقد المعاصر كالبنيوية والنقد الجديد والشكلانية الروسية وغيرها التي تتبنى نظرية (موت المؤلف) التي طرحها (رولان بارت) . ولأن الفن في تصورات منظروا نظرية فرانكفورت بوصفه نافذة تطل على عالم الحرية لإنسان العصر ، تبانى طروحات (أزهر) في أعماله مع رؤية (ماركيوز) أن الإنسان في ظل التقدم التكنولوجي يتحول إلى بعد تقني واحد لسلطة الآلة تؤطر نمطاً من العلاقة ما بين الفرد والمؤسسات تتحكم بتنظيمه الإجتماعي ووجوده اليومي ، فرسالة الفنان توصف سلطة الآلة عندما تكون بيد المؤسسة أو القوة الفاعلة فإنها تكون قسرية وإقصائية لقيمة الذات الإنسانية ، لذا لجا الفنان إلى سيادة الشخص بوجوده مركز العمل الفني كفعل مناوئ رافض يرسل مقومات وجوده إلى المتلقي توخياً التحرر وعدم التنصل عن متممات وجوده الإنساني رافضاً تشيؤه ومحاولة إغترابه ، لذا سعى الفنان إلى تماهيه من المحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه وقد جسدها الفنان برموز شعبية متداولة (الكرة ، الهدف ، الطيارة ، البالون ، الصحف العربية ، رأس القط ، وجوه متناثرة ، ألوان شعبية) رموز تراها الباحثة كشواهد على مجتمع شرقي متماه في الموروث كهوية لا يمكنه نت الخلاص منها لأنها وجود وذات ومجتمع . وعلى وفق بالآلية التواصلية التي طرحها (هابرماس) بتوافق أو تمازج الذات الفنان) والمجتمع كفعل فاعل في النظرية النقدية في المجال الجمالي ، لذا إشتغل وعي الفنان على هكذا مشروع تواصلي توثيقي وتجاوزه لتأسيس محتوى فاعل متأسس على حدث ، وضمن الحراك الجماهيري للعراق أبان تظاهرات تشرين 2019 م وإستمرارها العنيف طرح الفنان العراقي (عاصم عبد الأمير 1954 م) منظومة جمالية لعدد من اللوحات التي تجسد المثابات العلامية في الحراك الشعبي ، فهو الذي يتوخى الهدف في تثوير طاقاته الجمالية ليبث رسالة غنية بالعلامة (أيقون ورمز ومؤشر) ضمن هاجس إشتغل عليه الفنان في العقد الأخير من القرن الواحد والعشرون فأنتج سلسلة من اللوحات الباثة لثورية تحريضية بطاقات جمالية ، فصور مفردات عدت أيقونات في الحراك الشعبي التشريني (تكتك ، طيارة ، مقذوفات ، دور وبنايات) كلها تشكل ضغوطات على التداول اليومي في المجتمع البصري المجتمعي الشعبي والإعلامي ، لأنها أسست لديمومة الحراك الشعبي ولما تزل مفردات لا يمكن التغاضي عنها بشكل يسير ، ولكن الأكثر تأثيراً لهذه المفردات ما صورها الفنان (عبدالأمير) في مجمل أعماله ، إذ جاءت مختزلة بشكل ينم عن دراية بالمشكل من جانب ودراية بوصفها معادلاً

موضوعياً إشتغل عليها الفنان ، فضلاً عن العفوية والمكنة الطفولية التي عدت من أسلوبية الفنان وخصيصته التي ما إنفك مستمراً عليها بأعمال كثيرة ، وربما ترى الباحثة أن الفنان لا يمكنه الخروج من هذه النسقية الطفولية ليس لعدم قدرته وهو الفنان المعروف بمكنته التقنية والتنظيرية في الحراك الثقافي العراقي عبر العديد من مؤلفاته الجمالية والفكرية فضلاً عن مشاركاته معارض متنوعة في العراق وخارجه وبشكل مستمر ولم ينقطع مطلقاً وإنما لشغفه وتماهيه في هكذا منظومة ذات مسارات عفوية وقصدية ليست يسيرة في التعاطي معها تشكيلياً ، وما تراه الباحثة أن ديمومة الفنان على هكذا نسقية طفولية بوصفه يراها نسقية تلامس الصدق التعبيري بلا تكلف أو تزويق أو تحريف ، كما تمثل المزاوجة ما بين مخيال الفنان ووعيه ومخيال الطفل وعفويته وسذاجته في الطرح الفكري ، ولكن الفارق ما بين الطرح والتنفيذ تتعالى مسؤولية الفنان في هكذا عرض لا يمكن عده عملاً فنياً فيه طرح فكري غير مؤسس على منظومة واعية بشكل كبير ، وعلى هذا الأساس يعد الفنان (عبدالأمير) أحد أقطاب الحراك التشكيلي العراقي والعربي المعاصر الذي تخطى حاجز المحلية بمنجز يواكب الحراك التشكيلي المعاصر في العالم . وحسب (لوكاش) أن الجمال يشتغل ضمن إطار تعاليات الإنسان العقلية بوصفها ليست كيانات نفسية ، بل يراها لغة مختلفة يتعاطى بها الإنسان مع المحيط تأثراً وتأثيراً ، وهذا الموقف جسده الفنان (عبدالأمير) عندما أوجد التعارض ما بين الواقع والطبيعة تبانياً مع (لوكاش) الذي يرفض إستغراق الفنان في معاناته وتجربته الذاتية ويحاول تسويقها إلى المجتمع مهما كانت حقيقية لكي لا يهمش الفنان الجانب الجمالي ، فجاء العمل الفني غير محاط بذاتية الفنان الشخصية وتجريبيته بشكل مطلق ، مع أن الفنان أنتج العشرات من هذه الأعمال وبنفس إحتجاجي . أما الجانب الآخر الموافق لمعطيات النظرية النقدية ما طرحه (هابرماس) عندما إشتغل على الفعل التواصلي فلسفياً لأن التواصل ما بين الفرد والمجتمع يشكل شرطاً حيوياً وفاعلاً في الحياة ، فأعمال الفنان تشكل جانباً تطبيقياً وفلسفياً لتواصل الذات (الفنان أو الطفل) مع المجتمع في تلقيه العمل ، لذا تشتغل العقلية الواعية التي أسست لها ذات مدركة للفنان ، وهي مشروع تواصلي تحريضي عبر رسالة بصرية تلامس الواقع ليس بوصفه تسجيلاً أو توثيقياً رغم توافر هذا المعطى في العمل الفني (التوثيقية) لكنه يتجاوز هذا المعطى ليتجه حيال التأسيس لمنظومة جمالية ذات محتوى فكري وسياسي فاعل متأسس على حدث كوني كبير .

النتائج

1. شخصت الأعمال برمتها (نماذج البحث) الظاهرة الإحتجاجية التي يراها الفنانون في المجتمع
2. كان رد الفعل الجمالي متساوقاً مع الفعل السياسي الذي إستهلك الإنسان وأحاله إلى سلعة ومن ثم غربة وجودية ، ولكن برد إحتجاجي رافض
3. بانت الأعمال تنوعات في الطرح المضاد للتشيؤ الإنساني فكان العمل الفني يطرح الفعل الذي شيأ الإنسان وبذات الوقت طرح الفعل المضاد عبر العديد من التقنيات التعبيرية والرمزية والطرح السيميائي (رمز ومؤشر وأيقون) كمعادل موضوعي للتشيؤ
4. تمثل الأعمال خطابات رادعة بوصفها واجهت التشيؤ وظاهرة الإغتراب النفسي والوجودي بفعل جمالي
5. تمثلت ظاهرة التشيؤ والإغتراب منطلقات تفترض معالجات سياسية وإقتصادية وإجتماعية ، عجزت أو تعمدت السياسة من معالجتها إن لم تكن هي المسببة لها ، تصدى لها الفن بشكل كبير .

المصادر

1. أحمد عبدالحليم عطية ، **يورغان هابرماس الأخلاق والتواصل** ، المكتبة الفلسفية ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2012
2. أزهر داخل محسن ، **دراسات في التشكيل المعاصر** ، دار أمجد للنشر والتوزيع ، ط 1 ، المملكة الأردنية الهاشمية ، 2019
3. أزهر داخل محسن ، **فاعلية الصورة الإعلامية في التشكيل العراقي المعاصر (الحدث العراقي أنموذجاً)** ، المؤتمر الدولي الأول . الصورة . مسارات التشكل ورهانات التأويل ، المركز الجامعي عبدالحميد بو الصوف ، معهد الآداب واللغات الجزائر ، ديسمبر ، 2020
4. أيزابرجر . أرثر ، **تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسة** ، ترجمة وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، القاهرة ، 2003
5. برونر . **ستيفن إريك ، النظرية النقدية . مقدمة قصيرة جداً** ، ترجمة سارة عادل ، مراجعة مصطفى محمد فؤاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، مصر ، 2016

6. بوتومور . توم ، مدرسة فرانكفورت ، ترجمة سعد هجرس ، مراجعة محمد حافظ دياب ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا 2004

7. بووي . أندي ، **الفلسفة الألمانية . مقدمة قصيرة جداً** ، ترجمة محمد عبد الرحمن سلامة ، مراجعة هبة عبدالمولى ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 2015

8. جماعة من علماء السوفيات ، **الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر** ، ترجمة حسان حيدر ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، سنة 1990

9. جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، ج 2 ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، 1982

10. الرازي . محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، **مختار الصحاح** ، رتبه محمود الخاطر ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ب ت

11. هاو . آلن ، **النظرية النقدية** ، ترجمة ثائر ديب ، دار العين للنشر ، دار الكتب والوثائق الوطنية ، الإسكندرية ، 2010

12. هونيث . أكسل ، **التشيؤ دراسة في نظرية الإعتراف** ، ترجمة وتقديم كمال بو منير ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الجزائر ، 2021

13. عباس فيصل ، **الإغتراب . الإنسان المعاصروشقاء الوعي** ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 2008

14. عباس فيصل ، **التحليل النفسي وقضايا الإنسان والحضارة** ، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر ، د 1 ، بيروت ، لبنان ، 1991

15. عبد النور شرقي ، **ماكس هوركهايمر مرجعيات في النظرية النقدية وتأسيسات في نقد المجتمع وصناعة الثقافة ، كتاب مدرسة فرانكفورت جدل التحرروالتواصل** ، دار الروافد الثقافية ، 2012

16. هوركهايمر . ماكس وتيودور أدورنو، **جدل التنوير . شذرات فلسفية** ، ترجمة جورج كتورة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2006

17. كريب . إيان ، **النظرية الإجتماعية من بارسونز إلى هابرماس** ، ترجمة محمد حسين غلوم ، مراجعة محمد عصفور ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة (244) الكويت ، 1999

18. كريزويل . أديث ، **عصر البنيوية** ، ترجمة جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، ط 1 ، الكويت ، 1993

19. مانهايم . كارل ، **الأيديولوجيا واليوتوبيا . مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة** ، ترجمة محمد رجا الديريني ، شركة المكتبات الكويتية ، ط 1 ، الكويت ، 1980

20. ماركيوز . هربرت ، **العقل والثورة هيغل ونشأة النظرية الإجتماعية** ، ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970

21. محمد سبيلا ، **مدارات الحداثة** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، ط 1 ، بيروت ، لبنان .2009

22. مصطفى حسيبة ، **المعجم الفلسفي** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الأردن ، عمان ، 2009

23. عبد الغفار مكاوي ، **النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت** ، هنداوي سي أي سي للنشر ، 2021

24--Lukas. G. History and Class Consciousness. Translated by Rodney Livingstone . London.1971